الباب التاسع والأربعون

في ذكر آنيتهم التي يأكلون فيها ويشربون، وأجناسها وصفاتها

قال الله تعالى : ﴿ يُطافُ عليهم بِصِحَافٍ من ذَهَبٍ وأكوابٍ ﴾ [الزخرف : ٧١] فالصحاف : جمع صَحْفة ، قال الكلبي بقصاع من ذهب. وقال الليث : الصحفة : قطعة مُسْلَنْطِحَة عريضة، الجمع : صحاف، قال الأعشى :

والمكاكِيكَ والصِّحافَ مِنَ الفضّـ ـةِ والضامزاتِ تحتَ الرجالِ[1]

وأما الأكواب فجمع كوب، قال الفراء : الكوب : المستدير الرأس الذي لا أذن له . وأنشد لعدي :

متكئاً تصفِقُ أبوابُه يسعَى عليه الغيد بالكوب[2]

وقال أبو عبيدة : الأكواب : الأباريق التي لا خراطيم لها . قال أبو إسحاق : واحدها كوب ، وهو إناء مستدير لا عروة له ، وقال ابن عباس : هي الأباريق التي ليست لها آذان ، وقال مقاتل : هي أوان مستديرة الرأس ليس لها عرى .

---

(١) انظر «ديوانه» ص ١٦٧ . المكاكيك واحدها مكوك: وهي مكيال نصف صاع. الضامزات: الإبل التي تمسك جرتها في فيها.

(٢) البيت لعدي بن زيد، انظر « اللسان » (كوب) وفيه وفي المطبوع : العبد، والمثبت من الأصل .

وقال البخاري في « صحيحه »[1] الأكواب : الأباريق التي لا خراطيم لها وقال تعالى : ﴿ **يَطوفُ عليهم وِلدانٌ مَخلَّدونَ ، بأكوابٍ وأباريقَ وكأسٍ من مَعينٍ** ﴾ [الواقعة : ١٧ ـ ١٨] . الأباريق هي الأكواب التي لها خراطيم، فإن لم يكن لها خراطيم ولا عرى فهي أكواب . وإبريق إفعيل من البريق، وهو الصفاء الذي يبرق لونه من صفائه، ثم سمي كلُّ ما كان على شكه إبريقاً، وإن لم يكن صافياً، وأباريق الجنة من الفضة في صفاء القوارير، يرى من ظاهرها ما في باطنها . والعرب تسمى السيف إبريقاً ، لبريق لونه، ومنه قول ابن أحمر :

تعلقت إبريقاً وعلِّقتُ عجبة ليُهلِكَ حياً ذَا زُهاءٍ وجَامل[2]

وفي « نوادر » اللحياني : امرأة إبريق إذا كانت براقة، وقال تعالى : ﴿ **ويُطافُ عليهم بآنيةٍ من فِضَّةٍ وأكوابٍ كانت قواريرا ، قواريرا من فضةٍ قدرُوها تقديراً** ﴾ [الإنسان : ١٥ ـ ١٦] فالقوارير هي الزجاج ، فأخبر سبحانه وتعالى عن مادة تلك الآنية أنها من الفضة، وأنها بصفاء الزجاج وشفافته . وهذا من أحسن الأشياء وأعجبها . وقطع سبحانه توهم كون تلك القوارير من زجاج فقال : ﴿ **قواريرا من فِضَّةٍ** ﴾ .

قال مجاهد وقتادة ومقاتل والكلبي والشعبي : قوارير الجنة من الفضة ، فاجتمع لها بياض الفضة، وصفاء القوارير . قال ابن قتيبة : كل ما في الجنة من الأنهار وسررها وفرشها وأكوابها مخالف لما في الدنيا من صنعة العباد، كما قال ابن عباس : ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء . والأكواب في الدنيا، قد تكون من فضة وقد تكون من قوارير، فأعلمنا الله أن هناك أكواباً لها بياض الفضة، وصفاء القوارير، قال : وهذا على التشبيه ، أراد قوارير كأنها من فضة، وهذا كقوله تعالى : ﴿ **كأنهنَّ الياقُوتُ والمَرْجانُ** ﴾ [الرحمن : ٥٨] ، أي لهن ألوان المرجان في صفاء الياقوت . وهذا مردود عليه ، فإن الآية صريحة

---

(١) أورده البخاري ٦/٣١٧ في بدء الخلق : باب (٨) ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ولفظه الكوب : ما لا أذن له ولا عروة . والأباريق : ذوات الآذان والعرى .

(٢) انظر « لسان العرب » (برق) وفيه لفظه : تعلق إبريقاً، وأظهر جَعبة، وفي المطبوع: جفنة.

أنها من فضة ، و« من » ها هنا لبيان الجنس كما تقول : خاتم من فضة، ولا يراد بذلك أنه يشبه الفضة، بل جنسه ومادته الفضة، ولعله أشكل عليه كونها من فضة وهي قوارير، وهو الزجاج، وليس في ذلك إشكال لما ذكرناه .

وقوله : ﴿ **قَدَّرُوها تقديراً** ﴾ التقدير : جعل الشيء بقدر مخصوص، فقدرت الصناع هذه الآنية على قدر ريّهم ، لا يزيد عليه ولا ينقص منه، وهذا أبلغ في لذة الشارب، فلو نقص عن رِيِّه لنقص التذاذه، ولو زاد [حتى] يُسْئِرَ منه حصل له ملالةٌ وسآمة من الباقي. هذا قول جماعة من المفسرين .

قال الفراء : قدروا الكأس على قدر [رِيِّ] أحدهم ، لا فضل فيه، ولا عجز عن ريِّه، وهو الذُّ الشراب .

وقال الزجاج : جعلوا الإناء على قدر ما يحتاجون إليه ويريدونه .

وقال أبو عبيد : يكون التقدير للذين يسقون يقدرونها . ثم يسقون ، يعني أن الضمير في قدروا للملائكة والخدم، قدروا الكأس على قدر الريِّ، فلا يزيد عليه فيثقل الكف، ولا ينقص فتطلب النفس الزيادة كما تقدم، وقالت طائفة : الضمير يعود على الشاربين ، أي قدروا في أنفسهم شيئاً ، فجاءهم الأمر على حسب ما قدوره وأرادوه، وقول الجمهور : أحسن وأبلغ، فهو مستلزم لهذا القول. والله أعلم .

وأما الكأس ، فقال أبو عبيدة : هو الإناء بما فيه . وقال أبو إسحاق : الكأس : الإناء إذا كان فيه خمر، ويقع الكأس لكل إناء مع شرابه . والمفسرون فسروا الكأس بالخمر، وهو قول عطاء والكلبي ومقاتل حتى قال الضحاك : كل كأس في القرآن ، فإنما عني به الخمر. وهذا نظر منهم إلى المعنى المقصود : فإن المقصود ما في الكأس لا الإناء معه . وأيضاً فإن من الأسماء ما يكون اسماً للحال والمحل مجتمعين ، ومنفردين : كالنهر، والكأس . فإن النهر اسم للماء ولمحله معاً ، ولكل منهما على انفراده، وكذلك الكأس، والقرية . ولهذا يجيء لفظ القرية مراداً به الساكن فقط، والمسكن فقط، والأمران معاً .

وقد أخرجا في « الصحيحين » من حديث أبي موسى الأشعري : أن

رسول الله ﷺ قال : « جنتانِ من ذهبٍ آنيتُهما وما فيهما ، وجنتانِ من فضةٍ آنيتُهما وما فيها : وما بينَ القوم وبين أن ينظروا إلى ربِّهم إلا رداءُ الكبرياءِ على وجههِ في جنة عدن »[1] وفيهما أيضاً من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أولَ زُمرةٍ يدخلونَ الجنةَ على صورةِ القمرِ ليلةَ البدرِ ، والذين يَلونَهمْ على أشدِّ كوكبٍ دُرِيٍّ في السماء إضاءة ، لا يُبولونَ ولا يتغوَّطونَ ولا يمتخطُونَ ولا يَتفلونَ ، أمشاطُهم الذهبُ ، ورشحهُمُ المسكُ ، ومجامرهم الأَلوَّةُ وأزواجهُم الحورُ العينُ ، أخلاقُهم على خلقِ رجلٍ واحدٍ . على صورةِ أبيهم آدم ، عليه السلام ستونَ ذراعاً في السماء »[2] .

وفي « الصحيحين » من حديث حذيفة بن اليمان أن النبي ﷺ قال : « لا تشربُوا في آنية الذهبِ والفضةِ ، ولا تأكلوا في صحافهما ، فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة »[3] . وقال أبو يعلى الموصلي في « مسنده » : حدثنا شيبان، حدثنا سليمان بن المغيرة، حدثنا ثابت قال: قال أنس: كان رسول الله ﷺ يعجبُه الرؤيا [الحسنة] فربما رأى الرجلُ الرؤيا فيسألُ عنه إذا لم يكنْ يعرفُهُ . فإذا أثني عليه معروفٌ كان أعجب لرؤياه إليه . فأتته امرأة فقالت : يا رسول الله رأيتُ كأني أتيتُ فأخرجت من المدينة فأدخلتُ الجنةَ. فسمعت وجبة انفتحتْ لها الجنةُ فنظرتُ . فإذا فلانُ ابن فلانٍ ، وفلانُ ابن فلان فَسَمَّتْ اثني عشر رجلاً . كان رسول الله ﷺ قد بعثهم سرية قبل ذلك فجيء بهم، عليهم ثياب طلس تشخبُ أوداجهم ، فقيل : اذهبوا بهم إلى نهر البيدخ أو البيدح[4] فغمسوا فيه فخرجوا ، ووجوههم كالقمر ليلة البدر . فأتوا بصحفة من ذهب فيها بسرٌ ، فأكلوا من بسره ما شاؤا . فما يُقلبونها من وجهٍ إلا أكلوا من الفاكهةِ ما أرادوا، وأكلت معهم . فجاء البشير من تلك السرِّية فقال : أصيبَ

---

(١) تقدم ص ١٤٠ ت (٢) .

(٢) تقدم ص ١٥٥ ت (٢) .

(٣) أخرجه البخاري (٥٤٢٦) في الأطعمة : باب (٢٩) الأكل في إناء مفضض ، ومسلم (٢٠٦٧) (٥) في اللباس والزينة ، باب رقم (٢) تحريم استعمال إناء الذهب والفضة .

(٤) في الأصل : البندح .

فلانٌ وفلانٌ ، حتى عدَّ اثني عشرَ رُجلاً . فدعا رسول الله ﷺ المرأة . فقال : «قُصِّي رؤياك فقصتها، وجعلتْ تقولُ: جيء بفلان، وفلان كما قال» رواه الإمام أحمد في « مسنده » بنحوه، وإسناده على شرط مسلم[1] .

---

(١) أخرجه أحمد ٣/١٣٥ و٢٥٧ بنحوه، وأورده ابن كثير في «النهاية» ٢/٤٠٧ في ذكر نهر البيدح في الجنة ونسبه لأحمد، وذكره في «مجمع الزوائد» ٧/١٧٥ ـ ١٧٦ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، ولم أجده في «مسند» أبي يعلى المطبوع ولعله في «الكبير» اهـ.

obeikandl.com